رسالته لأولمرت: سواء شئت أم لم تشأ.. أنا الشريك الوحيد الذي تستطيع التحدث اليه

تصريحات مشعل جاءت لتثبيت زعامته بين الفلسطينيين في المناطق وخارجها

■ تهدف الخطبة الاولى لرئيس المكتب السياسي لحماس في دمشق، خالد مشعل، منذ اختُطف الجندي شليط، الى التمكين لزعامة مشعل في نظر الفلسطينيين والاسرائيليين معا. لم يكن في الأقوال نفسها تجديد كثير. لقد كرر تصريحات حماس بأن الخاطفين لن يمسوا شليط، وأن الجندي سيُسرح فقط مقابل اطلاق سراح أسرى فلسطينيين. لكن مشعل حدد هنا عنوانا: فهو الذي يقرر ـ وهو، لا رئيس السلطة محمود عباس في رام الله، ولا رئيس الحكومة اسماعيل هنية في غزة، من يتحدث باسم الشعب الفلسطيني، في المناطق وخارجها.

لكن الرسالة وُجهت ايضا الى مسمعي رئيس حكومة اسرائيل، ايهود اولمرت: سواء أشئت أم ابيت، أنا الشريك الوحيد الذي تستطيع التحدث اليه عن اطلاق سراح الأسرى وعن وقف اطلاق صواريخ القسام. في الوقت الذي تزعم فيه اسرائيل أنه لا يوجد شريك في التفاوض، أوضح مشعل أن السبيل الى التسوية الأمنية أو السياسية في المستقبل يمر عن طريق مكتبه في دمشق (وفي الآن نفسه، عرّض نفسه بهذه الاقوال الصريحة لاصابة الاسرائيليين، لانه قرن نفسه في واقع الأمر بالاختطاف). امتدح مشعل هنية، الذي عرض على اسرائيل وقف اطلاق النار. كان الاقتراح موافقا لرأي مشعل، لكن يبدو أنه ليس عرضا عرضه هنية. وبهذا يُرى رئيس الحكومة الفلسطيني مهادنا ومصالحا، في الوقت الذي يبدو فيه زعيم حماس في الخارج المقاتل الشجاع لاسرائيل. يلاحظ في الاقوال، في المؤتمر الصحافي الذي أُقيم في فندق في العاصمة السورية، محاولة للأخذ بشيء ما من النغمة الاستهزائية لحسن نصر الله، لكن مشعل تنقصه حماسة وقوة حضور الأمين العام لحزب الله.

في الحقيقة أن مشعل لقب اولمرت «شارون الصغير»، لكنه لم يتحرر بعد من اللقب الذي ألصقه به الفلسطينيون ـ «عرفات الصغير». كما فعل عرفات في الثمانينيات، يحاول مشعل من مكان جلائه أن يجعل قيادة منظمته في المناطق عديمة الأهمية. ومثل عرفات، يصعب على مشعل أن يتحرر من غريزة الثوري. «الاخوة في الميدان سيحددون مصير الجندي»، زعم، وكأنه لم يحدد قبل ذاك بلحظة قواعد اللعبة بنفسه. لقد تحدث عن اختيار الشعب الفلسطيني الاستراتيجي لـ «المقاومة»، والارهاب، على الرغم من أن أصحابه يبذلون جهدا ملحوظا في الايام الأخيرة لينقلوا رسائل الى الجمهور في اسرائيل أن مشعل معني باتفاق سياسي شامل، لا بوقف اطلاق نار فقط. لقد أكد استقلاله بازاء دمشق وطهران، لكنه أطرى الرئيس السوري وامتدحه فورا. «أنا أشتاق الى الله ولا أخاف الموت»، تفاخر. الوسائل الأمنية المتشددة التي أُخذ بها قبل المؤتمر الصحفي تشهد شهادة اخرى.

عرضت الخطبة زعيما في ضائقة يلقى ايضا نقدا في الداخل («كل اولئك الذين يقولون إنه لا يوجد تأثير لصاروخ القسام لا يفهمون الواقع»، زعم). بازاء الضغط العسكري المتزايد لاسرائيل واحتياطي صواريخ القسام الآخذ في النفاد، حاول مشعل أن يُنبه الرأي العام الاسرائيلي ليقاوم اولمرت. ومع كل ذلك، حُدد خط مشعل الاحمر. انه يحتاج الى اطلاق سراح الأسرى، لأن كل صفقة اخرى ستُعرض زعامته الآخذة في التبلور للخطر. يبدو أنه سيكون من الضروري آخر الأمر عقد صفقة اطلاق سراح أسرى مؤخرة، بحيث تستطيع اسرائيل أن تزعم الفصل بين المرحلة أ (اطلاق سراح شليط) والمرحلة بـ (اطلاق سراح الأسرى الفلسطينيين) وستزعم حماس العكس. ولكن ما ظلت العملية العسكرية في القطاع غير متورطة، فان حكومة اسرائيل ماضية في سبيلها: لا تفاوض، ولا اطلاق لسراح الأسرى، على الرغم من أن حماس قللت من مطالبها من اطلاق سراح 1500 الى 130 سجينا.

منذ بداية الاسبوع سُجل تضاؤل للعمليات البرية في القطاع، لكن من غيرها ايضا استمر القتل في الجانب الفلسطيني (تسعة قتلى أمس). يزعمون في الجيش أنه لا توجد صلة لخفة العمليات بأي تقدم في القناة الدبلوماسية وأن الهجوم سيتجدد قريبا. وبين يدي ذلك، تحاول الانتفاضة الصاروخية أن تمتد الى الضفة ايضا. أمس زعم الجهاد الاسلامي وفتح أنهما أطلقا صاروخ قسام من جنين الى مرج ابن عامر. في الجيش الاسرائيلي يشكون في صِدق الزعم.

في اثناء ذلك قدم أمس اللواء احتياط غيورا آيلاند الى رئيس الاركان تقريره عن قضية الاختطاف. هذا هو التحقيق الأكثر عمقا ومهنية والذي تم في الجيش الاسرائيلي، لكن آيلاند سيتلقى الآن نقدا عاما، لأنه تجرأ على ألا يفصل الرؤوس عن أجسادها. آيلاند، الذي وجد طائفة كبيرة من الفساد في أداء المشاركين عملهم، من رئيس هيئة الاركان الى فريق الدبابة، لا يوصي باجراءات عملية، لعدة اسباب: سلسلة النجاحات السابقة على حدود القطاع (أحبط أكثر من مئة محاولة لاجراء عمليات)، وانعدام الخلل المعياري، تمييزا له من الأخطاء وحقيقة أن القتال في المنطقة ما يزال في أوجه.

يعرّف آيلاند الاختطاف أنه فشل تنفيذي لاذع ويوجه على نحو غير مباشر نقدا الى وزير الدفاع ورئيس هيئة الاركان ايضا، اللذين لم يسمحا بحرية عمل أكبر للقوات بازاء القطاع، حيال عودة حماس الى الارهاب. خلاصة التقرير بعيدة جدا مما حاول بيرتس وحلوتس عرضه بزيارتهما كرم أبو سالم، بعد يومين من الحادثة. لم يعمل كل شيء على نحو مثالي وليس الفشل مسألة عدم حظ فقط. ومع كل ذلك، لا توجد كما قيل آنفا استنتاجات شخصية ـ وهذا ما سيُتذكر. محاولة دفاع قيادة منطقة الجنوب، التي لم تنجح بازاء الاختطاف، قامت كما يبدو بعمل أفضل في المرحلة الثانية، بازاء الاعلام، وهيئة القيادة العامة ولجنة آيلاند.

خالد مشعل

عاموس هرئيل وآفي يسيسخروف
كاتبان في الصحيفة
(هآرتس) 2006/7/11

اكدت ان الفلسطينيين لا يفهمون لماذا يعاقبهم العالم

ممثلة وكالة غوث اللاجئين في الامم المتحدة: هؤلاء الاطفال سيقودون الانتفاضة الثالثة

■ كيرن أبو زيد جاءت الى هنا قبل ست سنوات، قبل اندلاع الانتفاضة بقليل. كانت نائبة لمفوض وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين «الاونروا» طوال خمس سنوات، وها هي منذ سنة تقف على رأس هذه الوكالة. خلال هذه السنة توقفت وزارة الخارجية ومكتب منسق العمليات الاسرائيلي في المناطق عن إبداء التجهم والتقزز عند سماع اسم «الاونروا». بعد سنوات طويلة اعتُبر فيها موظفو الوكالة شبه عملاء لـ م.ت.ف أصبحت تصريحات أبو زيد، الامريكية المتزوجة من سوداني، التي تُقال دائما بهدوء، تُعامل بصورة موضوعية الى نزيهة.

كما أن أبو زيد نفسها لا توجه انتقادات للمستوى الوظيفي الاسرائيلي الأعلى، ومع ذلك، من الصعب عليها مثلا الصمت على أوامر رئيس هيئة الاركان الاسرائيلي بتدمير الجسور والمباني العامة. هناك شيء مثير للسخرية حسب وجهة نظرها في قيام اسرائيل بأمرين متناقضين في نفس الوقت: التدمير من جهة، ومن ثم قيام منسق العمليات في المناطق، الذي يرتدي زيا عسكريا، بمحاولة مساعدة الجهات التي تقوم باصلاح ما تم تدميره. بفضل السمعة التي اكتسبتها أبو زيد لنفسها، من الصعب أن تجد أحدا في المؤسسة الاسرائيلية يُشكك في انتقاداتها، بل على العكس، اذا قالت كيرن بأن الوضع صعب، فمن الأجدر أن نبدأ بالقلق، كما يقول من يعرفونها.

وبالفعل، تقول أبو زيد إنها لا تذكر في المناطق وضعا أكثر فظاعة مما يسود الآن في قطاع غزة منذ فك الارتباط، وخصوصا في الاسابيع الأخيرة. حتى في أيام الانتفاضة الثانية، الأشد صعوبة، كانت المساعد تعمل في المباني والعمارات والمياه تتدفق عبر الصنابير. أما في هذه الايام فقد غرقت منازل اللاجئين في المخيمات بالظلام الدامس والأغذية آخذة في النفاد.

نحو 900 ألف لاجئ مسجلين في مكاتب «الاونروا» في القطاع، خلال الاشهر الأخيرة أُضيف اليهم نحو 20 ألف طالب للاعانة. الكثيرون منهم هم من موظفي السلطة الفلسطينية الذين أدى الحصار المفروض على حكومة حماس وعدم دفع الرواتب الى حرمانهم من مصادر رزقهم.

■ هل يتهم الجمهور الفلسطيني حماس بالوضع الذي يمر فيه؟ وهل هناك احتمالية لأن يقوم باسقاطها؟

■ لا أظن ذلك. بعد فك الارتباط كان هناك أمل بأن يتحسن الوضع. لاحظت حينئذ مؤشرات الارهاق من المجابهة العنيفة. مستوى خيبة الأمل التي أُصيب بها الفلسطينيون يساوي مستوى الأمل في نفوسهم. هم لا يفهمون لماذا يعاقبهم العالم لأنهم أجروا انتخابات ديمقراطية كما طلبوا منهم. يخطئ من يظن أن الضغط المتزايد على السكان المدنيين سيبعدهم عن حماس. بل على العكس، هذا الضغط يزيد من تضامنهم معها. هم لا يُحملونها المسؤولية عما يحدث، وانما يُلقون باللائمة على اسرائيل وامريكا والأسرة الدولية الذين فرضوا الحصار عليهم.

أفراد الطاقم المحلي من وكالة غوث وتشغيل اللاجئين هم من الموظفين القلائل في غزة الذين ما زالوا يحصلون على رواتبهم في مواعيدها. هم يقولون لأبو زيد أن كل واحد منهم أصبح يُعيل في الاشهر الأخيرة 13 ـ 15 عائلة. هي متأثرة جدا من التكافل الموجود في المجتمع الفلسطيني. «هؤلاء الناس تعلموا كيف يحافظون على بقائهم في اسوأ الظروف»، تقول، «لن يقوم أحد بتركيعهم على أرجلهم». وعلى الرغم من ذلك، تُردف أبو زيد بالقول إن رجال اعمال وشبانا من الميسورين يحاولون شق طريقهم الى ما وراء البحر. بهذه الوتيرة سيفقد هذا المجتمع طبقته الوسطى التي تعتبر ركيزة ضرورية في المجتمع الحديث.

على حد قولها، المعلمون والمهندسون يعملون خلال اربعة اشهر وأكثر من دون رواتب. هم كفوا عن الذهاب الى العمل فقط عندما لم تتبق في جيوبهم بضعة شيكلات لشراء الوقود للسيارة أو لدفع تذكرة الباص. لم يبق لدى المستشفيات إلا وقود لعشرة ايام فقط. المستشفيات العامة الكبيرة لا تنجح في تبريد الأدوية، والمنظمات الدولية أعلنت عن حالة طوارىء. وكلاء منظمة الصحة العالمية والاغذية والاونروا وغيرها من وكالات المساعدة الاخرى يلتقون في كل يوم في القدس ويتبادلون المعطيات والتقديرات ويحاولون مساعدة بعضهم البعض.

■ الاونروا توجه موارد كثيرة للتربية السلمية بما في ذلك صياغة مناهج تعليمية خالية من التحريض. ما الذي يتعلمه اطفال غزة في هذه الايام عن اسرائيل؟

■ الاطفال يرون مثل الآخرين ما الذي يحدث حولهم. أنا أخشى أن يكونوا هم من سيقود الانتفاضة الثالثة، كما قاد اطفال الانتفاضة الاولى الانتفاضة الثانية. المعلمون والمستشارون عندنا بذلوا جهودا هائلة لترسيخ قيم السلام. أنا أعتقد أن الوسائل المحكمة التي منحناها للاطفال ستستخدم اليوم، وأنهم سيتغلبون على الازمة.

أجرى المقابلة: عكيفا الدار
المراسل السياسي للصحيفة
(هآرتس) 2006/7/11

اعلان مشعل نيته المطالبة باطلاق سراح عشرات آلاف السجناء الفلسطينيين مقابل الجندي ما هي إلا مقدمة للفيلم

■ تصريح رئيس حماس، خالد مشعل، أمس من دمشق حول نيته المطالبة باطلاق سراح عشرات آلاف السجناء الفلسطينيين مقابل الجندي المختطف جلعاد شليط، ما هو إلا مقدمة للفيلم. اذا لم يطرأ تطور غير عادي، مثل اكتشاف مكان إخفاء الجندي المختطف، واطلاق سراحه، فمن المتوقع أن نشهد اياما وليالي طويلة من احتراق الأعصاب والغضب والاوقات العصيبة. هكذا هي حال الامور في البازار الشرق اوسطي، وفي مواقع كثيرة اخرى في العالم ايضا.

في هذه المرحلة يبدو أن من المهم لحماس أن تغطي الجندي المختطف في كل ليلة جيدا حتى لا يصيبه البرد، لأنه الورقة الأقوى التي وقعت في أيديها خلال السنوات الأخيرة. على الجيش الاسرائيلي أن يحذر من إحداق حياة شليط بالخطر من خلال عملياته العابرة. من الناحية الاخرى يضمن موقف اولمرت الذي كرره أمس ـ بعدم اجراء مفاوضات وعدم اطلاق سراح سجناء ـ لاسرائيل وللفلسطينيين ودول المنطقة اياما طويلة اخرى من المحادثات من خلف الكواليس من اجل الوصول الى صيغة تشبع نهم الذئب وتُبقي الحَمَل سالما كما هو.

رؤساء ورياح، وأمطار ايضا

هناك مقولة يهودية عتيقة تقول: عشرة حكماء لن يستطيعوا إخراج حجر ألقاه أحمق في البئر. آخر أمر يمكن قوله عن رئيس الدولة، موشيه قصاب، هو أنه أحمق. قصاب وصل الى المنصب الأعلى في الدولة لاسباب منها حكمته السياسية وذكاؤه اليومي والعملي. مبادرته لدعوة المستشار القضائي للحكومة وإعلامه بأمر موظفة ديوانه التي تدعي أنه قد تحرش بها جنسيا، تشبه تحركات بهلوان يسير على حبل دقيق: اذا كان ما تقوله الموظفة غير صحيح، فسيعود رئيس الدولة الى مقره في الشارع الرئيس رقم 3 في القدس. ولكن اذا كانت هناك ذرة صغيرة جدا من الصحة فيما تقوله، فان موشيه قصاب يكون قد أنهى ولايته بصورة مبكرة ومخجلة جدا.

موشيه قصاب كان بحاجة للكثير من الشجاعة عندما اتصل بمزوز لاعلامه، أو أنه لم يكن يملك خيارات اخرى: من المحتمل أن تكون لدى السيدة «أوراق قوية». في كل الاحوال اذا كان صحيحا أنها طلبت منه نصف مليون شيكل أو دولار مقابل صمتها، فهناك مجال واسع للتشكيك برواياتها. برنارد شو قال عن ذلك ذات مرة فكاهة معروفة: شو قال إنه عرض على سيدة أن تضاجعه مقابل نصف مليون دولار، وعندما تراجع عن عرضه واقترح عليها أن تستمتع معه مجانا قالت صارخة: «مجانا»، أي امرأة أنا في نظرك؟ شو رد عليها قائلا: سيدتي، نحن جميعا نعرف من تكونين.

على أية حال، لقد ألقى الحجر في ماء النهر، ومياه البيضة الاسرائيلية عاصفة وحافلة بالأمواج المتلاحقة. الآن ستخرج التسوية من يد الرئيس وتنتقل الى المستشار القضائي والشرطة والنيابة العامة.

هذا ما كان ينقصنا الآن. الآن بتنا بحاجة الى أكثر من عشرة حكماء حتى يعرفوا اذا كان لدينا «رؤساء ورياح، وأمطار كذلك»؟!.

ايتان هابر
رئيس ديوان رابين سابقا
(يديعوت احرونوت) 2006/7/11

تتكيف لها الحركة الإسلامية والمنظمات الاخرى

اسرائيل ستواصل التضييق على حماس باستمرار العملية العسكرية للوصول الى أهداف منها إقرار قواعد لعب جديدة

■ ابتدأت عملية «أمطار الصيف» في الثامن والعشرين من حزيران (يونيو) ردا على عملية حماس في منطقة كرم سالم.

في هذه العملية هاجمت خلية من حماس اجتازت الجدار بواسطة نفق محفور، قوة مدرعة من الجيش الاسرائيلي. قُتل جنديان واختطف آخر ـ جلعاد شليط ـ وأُخذ الى القطاع.

رغم أن الهدف الفوري للعملية كان اطلاق سراح الجندي، يبدو أن للعملية أهدافا أوسع. فاطلاق صواريخ القسام المتواصل على سدروت وبلدات اسرائيلية اخرى انشأ وضعا لا يُطاق من ناحية اسرائيل، بحيث تُستعمل هذه المناطق بعد انسحاب كامل من قطاع غزة، قاعدة للمس المتواصل الذي يشوش على رتابة الحياة في البلدات القريبة من قطاع غزة. الهدف الرئيس للعملية انشاء قواعد لعب جديدة يوجد في اطارها اطلاق الصواريخ ايضا على بلدات مدنية خارج قواعد اللعب. النموذج الذي تحاول اسرائيل تحقيقه هو النموذج الذي ثبت على الحدود بين اسرائيل ولبنان. فهناك، رغم أن المواجهة مع حزب الله لم تنقطع، فانها تجري على نحو عام بحسب قواعد لعب واضحة وفيها عدم المس بالسكان المدنيين وانحصار العمل في مناطق معينة. بمقابلة ذلك أعلنت اسرائيل عن أنها لا تنوي الاستجابة للابتزاز ولاطلاق سراح أسرى مقابل الجندي المختطف.

طريقة العمل التي اختيرت هي اجراء الضغط لحماس ولمنظمات اخرى تعمل ضد اسرائيل. يفترض أن يزيد الضغط تدريجيا وأن تُنقل بواسطته الرسالة بأن وضع المنظمات سيزداد سوءا وأن الثمن الذي ستدفعه سيكبر كلما استمر رفضها التكيف مع قواعد اللعب الجديدة. نشأ الضغط بدخول بري حذِر موزون في القطاع في البدء في جنوبي القطاع وبعد ذلك في القسم الشمالي منه، وبهجمات جوية دقيقة على خلايا عمليات، وقيادات وقواعد لوجستية للمنظمات، وتجديد القصف لمناطق اطلاق القذائف، والاصابة المباشرة للقيادة السياسية لحماس باعتقال وزراء واعضاء برلمان في الضفة الغربية، ومهاجمة مكاتب في غزة، وتهديد بالانتقال الى المس المادي بالقيادة نفسها، وفي النهاية إقلاق السكان في قطاع غزة باصابة البنى التحتية للكهرباء واحداث الضجيج باختراق لحاجز الصوت في ساعات الليل.

يوجد عدد من المزايا لطريقة العمل هذه. أولا، أنها توحي برسالة قوة الثبات والصبر، أي: «يوجد لدينا وقت، ولن يسوء وضعنا اذا ما انتظرنا. أما وضعكم بمقابلة ذلك فسيزداد سوءا». وثانيا، من ناحية الأسرة الدولية، تجعل طريقة العمل هذه من الصعب انشاء تصور رد غير تناسبي على التحرش، يبدو للناظر من الخارج هامشيا وعينيا. في الحقيقة يبدو أن طريقة العمل هذه تصيب نجاحا في هذا السياق. على الرغم من الرد السلبي في الساحة الدولية على بعض الخطوات ـ اعتقال القادة السياسيين وإقلاق السكان ـ يبدو أنه في الحصيلة العامة لم تنشأ موجة ردود سلبية ذات معنى. وثالثا، طريقة العمل هذه تضائل خطر الخسائر.

المشكلة الرئيسة هي مقدار فاعلية هذه الخطوات. فلكي تنجح يجب أن تكون في الجانب الثاني ادارة حساسة بالأثمان التي تُجبى منها وأن تكون قادرة على السيطرة على ما يحدث عندها. لست أخال هذه الشروط موجودة. في ظاهر الأمر، حكومة حماس هي العنوان الرئيس، لكنها هي ايضا لا تسيطر على جميع الجماعات عندها. فهي لا تسيطر على الجهاد الاسلامي ولا على جماعات كثيرة تتصل بفتح ومعنية بفوضى وبمعاناة السكان، لأن هذا يخدم هدفها السياسي وهو الإضرار بحكومة حماس. لكي تكون حماس مستعدة للدخول في مواجهة عنيفة ولتفرض طاعتها على هذه الجماعات، وهي خطوة تعني الوصول الى شفا حرب أهلية، يجب أن يكون لها باعث قوي يقوم على ادراك أنه ينتظرها آخر الأمر مكسب كبير. ليس واضحا كيف يمكن انشاء باعث كهذا في حين يتضح لحماس أن هناك قرارا لحكومة اسرائيل والادارة الامريكية، بتعاون جهات في الجانب الفلسطيني، على عمل كل شيء لاسقاط حكومة حماس. في هذا الوضع؛ تهديد أن يفضي الضغط الى اسقاط حكومة حماس تهديد فارغ، ولهذا فان الشيء الوحيد الذي يجب أن تهتم به حماس هو أن يبقى الجمهور الفلسطيني معتقدا بأن المشاكل التي تصيب حكومة حماس التي انتخبت بانتخابات ديمقراطية، هي نتيجة عملية اسرائيل والولايات المتحدة بدعم «المتعاونين معهما» من فتح. في الحقيقة أن استطلاعات رأي الجمهور الأخيرة التي أُجريت في مناطق السلطة تُبين عن وجود اعتقاد كهذا، يسيطر على الجمهور الفلسطيني.

في داخل حماس ايضا توجد للجماعات المختلفة مصالح متعارضة. فمن جهة ما تزال لدى قادة سياسيين مثل رئيس الحكومة هنية رغبة وأمل ايضا في أن ينجحوا في التغلب على الازمة، وأن تبقى حكومة حماس وتعزز قبضتها على السلطة الفلسطينية. وبمقابلتهم تقترب قيادة حماس في دمشق والذراع العسكرية أكثر من تصور أن مصير حكومة حماس قد حُسم وأنه يجب التفكير في اليوم الذي يتلو ذلك.

يجب أن نأخذ في الحسبان ايضا أن قوة ثبات الجمهور الفلسطيني عالية لأنه اجتاز في اثناء الانتفاضة وقبلها ايضا عملية تكيّف كثيفة لظروف حياة صعبة، وحساسيتهم بانخفاض آخر لمستوى حياتهم ضئيلة. وكذلك قدرة لعب اسرائيل في مجال الإضرار بالسكان منخفضة لاعتبارات اخلاقية ولخوف الآثار الدولية المترتبة على تدهور شديد لوضع السكان.

ينتج عن هذا التحليل عدة استنتاجات. أولا، يجب أن يزداد الضغط العسكري وأن يكون الثمن الذي سيُجبى من الجانب الفلسطيني، وبخاصة الثمن المباشر من المنظمات ومن قيادة حماس، كبيرا جدا، من اجل أن يكون احتمال ما لاحراز الغايات. وثانيا، أن تُحرز الأهداف، أو جزء منها على الأقل، كما يبدو في اطار صفقة شاملة مع الجانب الثاني فقط، يكون العنصر الأهم فيها من ناحية حماس فهم أن اسرائيل تنوي أن تدعها تحكم، ومن ناحية اسرائيل، الأخذ بقواعد اللعب الجديدة. في اطار الصفقة ستكون حاجة الى ايجاد سبيل لانزال الجانبين عن الشجرة العالية التي تسلقاها في قضية استبدال الأسرى الفلسطينيين بالجندي. يمكن حل ذلك بانشاء فترة زمنية بين اطلاق سراح الجندي واطلاق سراح السجناء الفلسطينيين. تستطيع اسرائيل التوصل الى صفقة شاملة كهذه اذا ما تغلبت على التنافر الموجود في سياستها واستقر رأيها على ما الذي تريده أكثر: إسقاط حكومة حماس والتخلي عن وجود عنوان فعال في الجانب الفلسطيني أم وجود عنوان كهذا حتى لو كان على صورة حكومة حماس.

شلومو بارون
مركز يافي للابحاث الاستراتيجية 2006/7/11

الأضرار التي سيُحدثها جدار الفصل في منطقة القدس أكبر من الجدوى الديمغرافية

■ تكثر الدلالات على أن الحكومة تنوي أن تخطط حدود القدس من جديد. بحسب الخطة الآخذة في التبلور، ستُخرج من نطاقها أحياء «الأطراف»، في قصد الى «تحسين الميزان الديمغرافي» الذي يميل ميلا واضحا لمصلحة الفلسطينيين. في ظاهر الأمر، اولئك الذين يؤيدون تقسيم المدينة يجب أن يفرحوا. لكن يتبين أن القدس أكثر تعقيدا من كل الايديولوجيات التبسيطية، من اليمين واليسار.

في واقع الأمر لقد تمت «مناورة جافة» لسياسة «الانطواء المقدسي»، بواسطة جدار الفصل، الذي أبقى عددا من الأحياء في المدينة خارجها. لكن متخذي القرارات تجاهلوا أن الحدود بين الضفة، والقدس الشرقية والقدس الغربية تشبه الحدود بين الولايات المتحدة والمكسيك. اذا كان الناتج للفرد في الضفة هو 1150 دولارا في السنة، فان الناتج في غربي المدينة هو نحو 18 ألف دولار، وفي شرقي المدينة نحو 4 آلاف دولار. يتخوف سكان شرقي المدينة من سوء ظروف العالم الثالث، وهم يصوتون بالأقدام. انهم يتدفقون الى الداخل الى الجانب المقدسي من الجدار.

البواعث الديمغرافية تأتي بنتائج عكسية. يزيد الجدار عدد السكان الفلسطينيين في القدس، حتى انهم ينتقلون للسكن في أحياء اسرائيلية، مرغمين. في الحقيقة حكومة اسرائيل «وحّدت القدس» ـ لكن لم يكن ذلك كما أملت بالضبط.

اذا لم تغير مكانة سكان شرقي المدينة، فيحتمل أن يفشل الانطواء في القدس. يحتاج تغيير المكانة ـ سلب سكان المدينة من الفلسطينيين امكانية سكنهم ـ سن قانون بأكثرية 61 عضو كنيست، بواسطة قانون أساس. لست أخال الأمر عمليا.

للديمغرافية آثار أمنية ايضا. عدد سكان الضفة الذين يعتقلون في كل شهر للشك بمخالفات أمنية أكبر من عدد سكان شرقي القدس الذين اعتقلوا في خمس سني الانتفاضة. إن اخراج 130 ألف فلسطيني خارج القدس سيوقعهم بين أنياب الفقر ويفصلهم عن مركز حياتهم. اذا ما أصبحوا من سكان «الضفة»، فلماذا لا يتصرفون مثل سكان الضفة وينضمون الى دائرة العنف؟.

اذا ما أُنفذ «الانطواء المقدسي»، فسيستطيع الفلسطينيون المس بنا من غير اجتياز جدار أو سور: فالانطواء الأحادي سيجعل خط التماس في القدس حدا داميا. لا يوجد في هذه الخطة ما يحل العقدة بين حدود دامية، من ناحية، وبين توثيق الاحتلال، من ناحية اخرى. هل سيكون فيها إقرار حدّ وخلاص من الاحتلال؟ أشك في ذلك كثيرا. إن اخراج الأحياء في الطرف من القدس خارج المدينة سيجعل النزاع الاسرائيلي ـ الفلسطيني ينحصر في فوهة البركان: البلدة القديمة وما حولها.

وكذلك، من اجل تنفيذ خطة اسرائيل ستحتاج الى شرعية دولية. في الظروف الموجودة، لست أخال الأسرة الدولية ستُمكّن اسرائيل من أن تقتطع لنفسها الساحة المتفردة للنزاع.

الشوق الى الحدود مفهوم. لكن الساسة لا تكفيهم الأشواق. القدس مدينة متسامحة مع المُصغين اليها، وقاسية على من لا يحترمون تعقيدها. اولئك الذين يصغون اليها يسمعون جيدا: الخطة الآخذة في التبلور لا تنبئ بنشوء توازن غير عنيف بين الاسرائيليين والفلسطينيين ـ ولا باحتمال اجراء سياسي. لن يُجدي أي عائق مادي، مهما كان محكما، وأي اجراء أحادي، إلا في الأمد القصير. الغايات القومية لاسرائيل ـ انهاء العنف، والاعتراف الدولي وانهاء النزاع آخر الأمر ـ سيتم الحصول عليها فقط بواسطة حدود سياسية تمر في وسط القدس، لا حولها، وهي حدود متفق عليها غير مُملاة. احذروا التقليد.

داني زايدمان
محام ومستشار قضائي لجمعية «مدينة الشعوب»
(هآرتس) 2006/7/11

الجيش الاسرائيلي يتفاخر بعدد القتلى اليومي الذي يوقعه بين الفلسطينيين

■ مثل هذا لم يكن عندنا أبدا. فقد كنت شابا، ثم أصبحت كهلا، ولم أر «عملية» فارغة تماما من محتواها، وبعيدة عن الخجل، وطائشة في اعمالها وشفافة تماما في دوافعها المخفية والتي قيل عنها «اشجار السنديان» (على الرغم من ان اسم «ابقار السنديان» سيكون أنسب لها).

فقد سمعت رئيس الاركان يهلل ويمدح الاعمال العظيمة التي يمدحها ويشد على ايديهم. ولكني ابدا، وطوال حياتي لم اسمع ولم أر رئيس اركان يقف قبالة عدسات التصوير ويعد ويذكر ارقام الجثث والقتلى الذين حصدتهم قواته وآلته الحربية بمثل هذا الفخر والاعتزاز. فهو يقول «حتى الان العدد 50 »، يقول بأعين لامعة ومبهرة، وكأنه يفتخر بعدد النقاط التي سجلها فريق رياضي يدربه في احدى مباريات كرة السلة. ولاضافة شيء صغير لهذه الطريقة المجوجة، فقد اتضح ايضا، وحمدا لله ـ بأنه كان يضخم هذا الرقم. وكأنه يريد مباركة من اليد التي تظلل هذه الاعمال. فالارقام الحقيقية كانت (37 قتيلا حتى ساعة ذلك اللقاء الصحافي الذي تفاخر به)، فقد كان الاجدر به أن يسمع ذلك من فم الفلسطينيين، اصحاب الشأن.

وقد سمعت كثيرا من الجنرالات الاسرائيليين ـ ايضا ـ مزيدا من هذا المديح. ولم اسمع في حياتي جنرالا (يوآف جلانت) يتعهد وهو يستعرض قواه بالقول «بعد شهر أو شهرين سوف يمنى الفلسطينيون بمئات من القتلى الاضافيين».

وفجأة يتضح بان هذا، هو الانجاز الواحد والوحيد لهذه «العملية» وهو أن «تقتل». وتكثيف عدد النقالات التي تحمل الجثث. ولكي يحرق المزيد والمزيد من الحقول كما تفعل طائرة تقوم برش المبيدات فوق الحقول، ومزيدا من تسديد فوهات البنادق، المدافع والقناصة. وهذا لم يكن جزءا من برنامج او خطة كانت قد اعدت سلفا لمثل هذه الاعمال التي انجروا اليها الان، بل ليس الا اعمالا كانت وتطورت لارضاء حالة من الغضب لدى الجمهور ويريدون بهذه الطريقة ان يلبوا هذا المطلب للناس الذين لم يطلبوه منه.

وكلما قام الجيش بقتل المزيد، فهم (الفلسطينيون) سيطلقون المزيد من صواريخ القسام، «وكلما ارتفعت اكوام الجثث لديهم، فان اليوم الذي سيطلق فيه سراح الجندي شليط سيبتعد اكثر فأكثر.. وكلما تفاخر جنرالات الجيش اكثر بعدد القتلى الذين تقتلهم المدافع، فان عدد الذين سيكونون مستعدين لتفجير أنفسهم ليعودوا الى ميادين وساحات المدن الاسرائيلية سيزداد (وكل انتحاري من هذا النوع ـ والويل لمن نسي ذلك فانه سيحصد عشرة اضعاف من القتلى والاصابات من تلك التي يحدثها سقوط عشرات والاف صواريخ القسام التي سبق وان اطلقت خلال السنوات الماضية وحتى الان). ولكن الجيش يعيش في ذاته فقط. ويتعامل جديا مع بلورة كذبة عدد القتلى التي يصنعها بيديه، وهو وحده يرفع ويرقي كل القتلى الى درجة «مسلح» او في بعض الاحيان الى رتبة «مطلوب» بعد مقتلهم وبذلك يريد اقناعنا بهذه الارقام والاعداد التي يطلقها.

ولاعتزازنا ارادت مجموعة من صغار الضباط بين حين وآخر ان تفسر وتشرح للناس بأن عملية القتل هذه ليست الا مبررا وطريقة لـ «جباية الثمن» وان هذا يمكن توجيهه «لالف زاوية» وانه يمكن ان «يعلمهم درسا» وذلك لكي «يتعلموا» درسا جديدا وعبرة لا تنسى ولكي يفهموا أخيرا معنى ان يحاولوا العبث مع الجيش. وكأنه لم يقتل حتى الان الالاف من الفلسطينيين، وأنهم لم يتعلموا أي درس او عبرة طوال هذه السنوات التي مرت على الصراع مع اسرائيل. وكأنه يوجد «ثمن» من أي نوع ومستوى لم يكونوا قد تعلموه ـ حتى الان ـ مع هذا الاحتلال طوال عشرات السنين، ولانهم اهملوا هذا الدرس او نسوه اراد الجيش ان يذكرهم به من جديد حتى لا تزول من مخيلتهم معاني قدرة هذا الجيش، وان لا يفكروا «ابدا» باهمال هذه الحقائق ومحاولة الخروج عليها. وكأنه يوجد أصلا أي شيء من نوع «هم» الخارجين او المارقين على القوة والسيطرة عليهم بهذا النحو او ذاك، وكأنه ما زال هناك ما يمكن تعلمه او نسيانه ومعرفة ما يمكن عمله وفعله من جديد... او كأن هؤلاء ما زال أمامهم من الوقت ما يكفي ليتعلموا «ماذا يحق وماذا لا يحق، وما المناسب وما غير المناسب ليفعله الفلسطينيون»، وبذلك فانهم (جنرالات الجيش) الوحيدون الذين سيعلمون هذا الشعب ما الذي يجب عليه أن يفعله، وما الذي يجب أن لا يقترب منه، ويبلورون كل ذلك للشعب الذي يضربونه!

هذه ليست المرة الاولى التي يقوم بها الجيش الاسرائيلي بتفريغ غضبه وحالة الفشل وعدم القدرة على وضع الحلول على غيره. وهذه ايضا ليست المرة الاولى التي ينجح فيها هذا الجيش بجر هذا النظام المتعب الذي يكون قد فشل في اتخاذ القرار السياسي الجريء الذي لا بد له أن يواجهه ويتخذه. ولكن، كما هو معروف، فان هذه هي المرة الاولى التي يُكيل فيها هذا الجيش المدح لنفسه علانية وبجرأة عن عدد القتلى الذين يقتلهم كل يوم، هذا ما لم يكن يفعله من قبل، وهذه هي المرة الاولى التي يفعلها دون أي خجل أو تردد، بل يتحدث صراحة وبفخر عن عدد الجثث التي يكوّمها يوميا بعد عمليات القصف. هذه القسوة وفظاعة التصرف والاسلوب غير الانساني في طريقته، هي في الحقيقة شيء جديد بدأ يتميز به هذا الجيش، ولم تكن من صفاته.

إن الذين لا يجدون تفسيرا ووضوحا لهذا التطور الذي طرأ على سياسة وتصرفات الجيش، ويُبدون الاستغراب من هذا التجديد في سلوك وفهم الجيش، لا بد لهم من أن يعودوا الى الوراء قليلا ويفهموا الرابط والعلاقة بين هذه التصرفات (التفاخر بعدد القتلى اليومي) وبين القبول والتشجيع لسياسة «التصفيات» التي انتهجتها المؤسسة العسكرية الاسرائيلية منذ سنوات ايضا، وهذه عملية محاكاة وتشبيه لأمرين كان لا بد من الوقوف عندهما، لأن تطورهما هو ما نراه في هذه الايام، فعندما يحصل على «ترخيص بالقتل» دون تردد ولا تعويق في تلك العمليات، فان النتيجة ستكون المزيد من القتل، بهذه الطريقة